Scientific Journal of Faculty of Education, Misurata University - Libya, Vol. 1, No. 5, June 2016

Published on Web 01/06/2016

المجلة العلمية لكلية التربية، جامعة مصراتة, ليبيا، المجلد الأول ـ العدد الخامس، يونيو 2016م

أصول دعوة سيدنا موسى –عليه السلام– كما جاء في القرآن الكريم

عبد الحميد مختار الضبع*

مقدمة: الحمد لله الذي أنعم على عباده بأن أرسل إليهم رسلا مبشرين ومنذرين ليدعوهم إلى توحيد الله وعبادته، ومن بين هؤلاء الرسل موسى كليم الله الذي اصطفاه على الناس برسالته وبكلامه مصداقا لقوله تعالى: ﴿قَالَ يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَتِي وَبِكَلَامِي﴾(1). وهو من أولى العزم من الرسل الذين تحملوا المشاق والأذى في سبيل أداء رسالتهم فصلوات الله وسلامه عليهم أجمعين. وقد أرسله الله إلى فرعون الطاغية الذي ادعى الربوبية يدعوه إلى عبادة الله وحده، ولينقذ بنى إسرائيل من كيده وبطشه قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾(2).

تمهيد: قبل أن أبدأ الكلام عن التعريف بسيدنا موسى ورسالته ونسبه وميلاده ونشأته يجدر بي أن أعطي فكرة موجزة عن التفسير الموضوعي (موضوع هذا البحث) وأهميته.

التفسير الموضوعي: هو أن يخص أحد المفسرين كلامه من ناحية من النواحي المتعلقة بالقرآن الكريم، وعُرّف أيضا بذلك المنهج الذي يجمع فيه المفسّر الآيات القرآنية التي تتعلق بموضوع واحد يبين معناها، ويربط بينها، ويكشف عن غرضها التي تهدف إليها هذه الآيات مجتمعة.

ومن أهميته: الرد على المستشرقين وأعداء الإسلام الذين يخوضون في الدين بغير علم سواء بقصد أم بغير قصد، لذلك يجب التسلح بهذا النوع من التفسير لمحاربة أعداء الإسلام والمسلمين لوقفهم عند حدهم و لإقناعهم بالحجة والبرهان. ومما يستعان به من الكتب والمراجع في هذا الموضوع:

أولا: القرآن الكريم.

ثانيا: كتب السُّنة النبوية؛ لأنها شارحة مفصلة لما اشتملت عليه الآيات القرآنية.

ثالثا: كتب علوم القرآن وغيرها من الكتب التي عنيت بالكشف عن مزاعم أهل الضلال ومن على شاكلتهم.

* قسم الدراسات الإسلامية – جامعة طرابلس.

التعريف بموسى عليه السلام:

نسبه وميلاده ونشأته: ينتسب موسى –عليه السلام– إلى أبي الأنبياء إبراهيم عليه السلام. فهو موسى بن عمران بن قاهث بن عازر بن لاوى بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليه السلام[3]، وأمه: يوخابد وقيل كانت اسمها (باختة)[4]. وقد ورد اسمه في سور كثيرة من القرآن الكريم كما وردت قصته في سورة البقرة والأعراف، ويونس، وهود، والإسراء، والكهف، وطه، والشعراء، والنمل والقصص، والصافات، وغافر، والذاريات، والنازعات، وغيرها. قصّ الله تعالى نبأه في كتابه الكريم منذ ولادته ورضاعه، وقد أوحى إلى أمه بطريق الإلهام أن ترضعه ما أمكنها ذلك حسب قدرتها، فإذا خافت عليه من فرعون الذى كان يقتل أبناء بني إسرائيل خوفا من ذهاب ملكه على يد أحد هؤلاء الأبناء فلتأخذه وتلقيه في البحر، ولا تخاف عليه من أي ضرر يلحقه ولا تحزن لفراقه.

يقول ابن كثير في تفسيره: "وكانت القبط تلقوا هذا من بني إسرائيل فيما كانوا يدرسونه من قول إبراهيم الخليل –عليه السلام– حين ورد الديار المصرية، وجرى له مع جبارها ما جرى، حين أخذ سارة ليتخذها جارية فصانها الله منه، ومنعه منها بقدرته وسلطانه، فبشر إبراهيم –عليه السلام– ولده أنه سيولد من صلبه وذريته من يكون هلاك ملك مصر على يديه، فكانت القبط تحدث بهذا عند فرعون فاحترز من ذلك، وأمر بقتل ذكور بني إسرائيل ولن ينفع حذر من قدر؛ لأن أجل الله إذا جاء لا يؤخر، ولكل أجل كتاب"[5].

قال تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾[6]. وعندما ما شعرت أمه بالخوف من جواسيس فرعون، صنعت له تابوتا من خشب ووضعته فيه وألقته في البحر، وأوصت أخته بأن تراقب التابوت، وقد شاء الله أن يصل التابوت بسبب الأمواج أمام بيت فرعون، فرأته جواري امرأته فأخذنه وحملنه إلى البيت وظنن أن فيه مالا فلما فتحنه وجدن فيه غلاما فوقعت عليه عينها فسرت به فأحبته، ولما أخبرت فرعون به أراد أن يذبحه وخاف أن يكون هذا من بني إسرائيل، الذي تكون نهايته على يديه وقد أقنعته امرأته بأن يتركه لها وكان الأمر كذلك وفى هذا يقول سبحانه وتعالى: ﴿فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَى أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾[7]. أي لا يشعرون بما خبأه القدر لهم.

وحين سماع أمه بوقوعه في يد فرعون طار عقلها وخافت عليه من الهلاك، ولولا تدخل القدرة الإلهية بأن عصمها الله وثبت قلبها لأظهرت أمرها وقالت بأنه ابنها ولكنها استسلمت لأمر الله

ولتكون من الصابرين، المصدقين بتحقيق وعد الله. وفى هذا يقول عز شأنه: ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغًا إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَن رَّبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾(8). وقالت لأخته قصيه أي تتبعي أثره لتعرفي خبره، وذلك من شدة لهفها ووجدها عليه فانطلقت تتبع أثره، فأبصرته عن بُعدٍ وهم لا يشعرون أنها تقصه وأنها أخته، وعرفت ما وراء ذلك من عدم قبول أخيها ثدي جميع النساء اللاتي توافدن على قصر فرعون للقيام بإرضاعه. قال تعالى: ﴿وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ فَرَدَدْنَاهُ إِلَى أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾(9).

وهنا تدخلت أخته وقالت أدلكم على أهل بيت شرفاء لهم مكانتهم ومنزلتهم يقومون بكفالته ورعايته بنصح وإخلاص، وما أن سمعوا ذلك منها بادروا إلى قبول عرضها وذهبوا معها إلى منزلهم ودخلوا به على أمه فأعطته ثديها فالتقمه، ففرحوا بذلك فرحا شديدا.

وقالت امرأة فرعون لها: اسكني معنا في هذا القصر لترضعي هذا الوليد وتسهري عليه فاعتذرت بأنها لا تستطيع أن تعيش معهم في هذا القصر؛ لأنها تعول أسرة وأن لها بعلاً، وطلبت منهم أن تصحبه معها إلى بيتها فأجابتها إلى ما طلبت وخصصت لها النفقة وأعطتها كل ما تحتاج إليه ورجعت بولدها إلى بيتها راضية مرضية تدفئه بحنانها.

وإلى هذا أشار الحق تبارك وتعالى في قوله: ﴿ فَرَدَدْنَاهُ إِلَى أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾. أي: لا يعلمون حكم الله في أفعاله وعواقبها المحمودة، وعاش الوليد في كنف أمه في أمن وسعادة ورخاء، ورباه فرعون وليدا حتى بلغ أشده واستوى، وآتاه الله حكما وعلما.

قال تعالى: ﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾(10). يقول تعالى ذكره وكما جزينا موسى على طاعته إيانا وإحسانه بصبره على أمرنا كذلك نجزي كل من أحسن من رسلنا وعبادنا فصبر على أمرنا وأطاعنا وانتهى عما نهيناه عنه(11).

بعثة موسى وإرساله رسولا إلى بني إسرائيل:

ولما بلغ أشده، واكتملت رجولته واكتمل عقله، وقوى جسمه وأصبح قادرا على تحمل المسؤولية وحمل الرسالة، اختاره الله رسولا، وناداه بالوادي المقدس، وأوحى إليه بأصول العقيدة التي أوحى بها إلى المرسلين من قبله، وهي التوحيد، والتصديق بالنبوة، واليقين بالآخرة وما فيها من الثواب

والعقاب، وهو المنهج الذي اتبعه المرسلون من قبله وتحملوا المشاق وكثيرا من ألوان العذاب من أجله حتى يبلغوا رسالات ربهم إلى من أرسلوا إليهم من أقوامهم.

يقول الله تعالى: ﴿وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِي يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي إِنَّ السَّاعَةَ ءاتِيَةٌ أَكَادُ أُخفِيهَا لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى فَلاَ يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَنْ لاَ يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَى وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى قَالَ أَلْقِهَا يَا مُوسَى فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاء مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةً أُخْرَى لِنُرِيَكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي يَفْقَهُوا قَوْلِي وَاجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي هَارُونَ أَخِي اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَى إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّكَ مَا يُوحَى أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّي وَعَدُوٌّ لَّهُ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى مَن يَكْفُلُهُ فَرَجَعْنَاكَ إِلَى أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ يَا مُوسَى وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي اذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَن يَطْغَى قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى فَأْتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى﴾(12).

في الآية الأولى الخطاب موجه إلى النبيّ –صلى الله عليه وسلم– عن طريق الاستفهام يبين فيه كيفية بداية نزول الوحي على موسى عليه السلام.

وقوله: (إِنِّي آنَسْتُ نَارًا) أي أبصرت نارا بيضاء واضحة لعلي آتيكم منها بقبس أي بشعلة مقتبسة على رأس عود أو نحوه، أو أجد هاديا يدلني على الطريق.

وفى سورة النمل ﴿إِذْ قَالَ مُوسَى لِأَهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ نَارًا سَآتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ آتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾(13).

وفي سورة القصص: ﴿ فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِن جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾[14].

(فلما أتاها نودي يا موسى إني أنا ربك فاخلع نعليك إنك بالواد المقدس طوى) أي فلما قرب منها وجدها نارا بيضاء تتقد كأضواء ما يكون في شجرة خضراء فهي نار ونور غمرت موسى عليه السلام. وفي سورة النمل ﴿فَلَمَّا جَاءهَا نُودِيَ أَن بُورِكَ مَن فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[15].

وهذا المكان مبارك ببركة من فيه، وقد حدد هذا المكان فقال جل شأنه: ﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِي مِن شَاطِئِ الْوَادِي الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَن يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾[16]. وهناك ناداه ربه بنداء العظمة، وأعلمه بأنه اختاره رسولا قال تعالى: ﴿وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾، أي اخترتك للوحي فاستمع واصغ إلى ما يوحى إليك، واعلم بأنني الإله الواحد الذي يجب على كل مكلف عبادته، وأنه لا معبود سواي فخصني بالعبادة وأد الصلاة على الوجه الأكمل لتكون من المخلصين.

ثم توجه موسى عليه السلام بهذا الدعاء إلى الله وهو بأن يشرح له صدره وييسر له أمره وطلب منه بأن يجعل له وزيرا من أهله ليساعده وليتحمل معه بعضا من أعباء الرسالة، فتم له ذلك وأرسل معه أخاه هارون، وأجابه الله تعالى بقوله:﴿قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى﴾ وعدد له النعم التي أنعم الله بها عليه من قبل والتي ذكرت في سورة القصص، ثم أمره وأخاه بالذهاب إلى الطاغية فرعون فقال جل شأنه: ﴿اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾.

أي فكلِّماه برفق ولين ليكون أوقع في نفسه ولعله يرجع إلى الحق والصواب واعلِماه بأنكما رسولان من عند ربكما.

﴿فأرسل معنا بني إسرائيل ولا تعذبهم قد جئناك بآية من ربك والسلام على من اتبع الهدى﴾، وفي سورة الفرقان قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيرًا فَقُلْنَا اذْهَبَا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَدَمَّرْنَاهُمْ تَدْمِيرًا﴾[17]، المراد من القوم في هذه الآية ما ذكره الألوسي فقال: "هم فرعون وقومه والظاهر تعلق بآياتنا بـ(كذبوا) والمراد بها دلائل التوحيد المودعة في الأنفس والآفاق أو الآيات التي جاءت بها الرسل الماضية –عليهم السلام– أو التسع المعلومة.

والتعبير عن التكذيب بصيغة الماضي على الاحتمالين الأولين ظاهر وعلى الأخير قيل: لتنزيل المستقبل لتحققه منزلة الماضي وتعقب بأنه لا يناسب المقام"[18].

وفي سورة الشعراء قوله تعالى ﴿وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَى أَنِ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلَا يَتَّقُونَ قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَى هَارُونَ وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنبٌ فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ قَالَ كَلَّا فَاذْهَبَا بِآيَاتِنَا إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾[19].

أي فأتياه وقولاَ له: إن الله أرسلنا إليك لتطلق سبيل بنى إسرائيل وتدعهم يذهبون إلى الأراضي المقدسة موطن الآباء والأجداد.

وهنا بدأ الحوار بين موسى –عليه السلام– وفرعون –لعنه الله–: ﴿قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾[20]، أي ربيناك في بيتنا وأنت طفل صغير لا حول لك ولا قوة وراعيناك برعايتنا ولبثت سنين عديدة عندنا وقتلت ذلك القبطي الذي وكزته وهو من حاشيتي وعدّد نعماءه عليه من أول تربيته إلى أن بلغ مبلغ الرجال فأجاب موسى عن أمر القتل وترك أمر التربية.

﴿قَالَ فَعَلْتُهَا إِذًا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ﴾[21]. أي من الجاهلين، يقول القرطبي: (فنفى عن نفسه الكفر، وأخبر أنه فعل ذلك على الجهل وكذا قال مجاهد، (من الضالين) من الجاهلين، ابن زيد: من الجاهلين بأن الوكزة تبلغ القتل، وفى مصحف عبد الله (من الجاهلين) ويقال لمن جهل شيئا ضل عنه، وقيل: (وأنا من الضالين) من الناسين، قاله أبو عبيدة، وقيل: (وأنا من الضالين) عن النبوة ولم يأتني عن الله فيه شيء، فليس علي فيما فعلته في تلك الحالة توبيخ)[22]، وقوله تعالى: ﴿فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾[23]. أي: هربت منكم خوفا من أن تنالوني بسوء.

يقول عبد الوهاب النجار: لا تنسوا أن المفسرين يجعلون الآية الأخيرة: ﴿وتلك نعمة تمنها عليّ﴾ توبيخا من موسى لفرعون أن جعل بني إسرائيل عبيدا وأنه يتهكم به لذلك ولكني أخالفهم في ذلك، وأقول: إنه يتلطف به غاية اللطف ليحمله على إطلاق بني إسرائيل قائلا: إن تعبيدك بني إسرائيل أي تكريمك لهم وتمكينهم من عبادة ربهم أعده نعمة مننت بها عليَّ، تضاف إلى تربيتي فيكم وليدا وإلى مكثي بينكم فيكم من عمري سنين، وما كان من شأن موسى أن يخرج الهزل في معرض الجد ولا أن يلجأ إلى المعاريض والمجازات، ولكنه كان في محاورته كلها مثال الجد والصراحة، يؤدي ما أمر به على الوجه الذي صدر له أن يؤديه، ومهمته العظمى إنقاذ بني إسرائيل من ذلك العذاب المهين الذي كانوا فيه وهذا طلب لذلك الأمر على وجه اللطف والرفق [24].

وقوله ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾(25)، يسأل فرعون لعنه الله أي شيء يكون رب العالمين، وهو سؤال المنكر الجاحد المتكبر المتهكم فيرد عليه موسى، رب العالمين هو رب السموات والأرض ورب الكون كله وما فيه من مخلوقات.

﴿ قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ﴾(26). فالتفت فرعون إلى من حوله من رؤساء قومه متعجبا من هذا القول ومستهزئا بموسى عليه السلام.

﴿ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَمِعُونَ﴾(27). ولم يسكت موسى وهجم عليه وعليهم بصفة أخرى من صفات رب العالمين في قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ﴾(28).

وفى هذا الجواب يضع موسى فرعون وقومه ما هم إلا عبيدا من عبيد الله، وهو ربهم ورب آبائهم ورب كل شيء ومن ثم يصف فرعون موسى بالجنون وأنه لا عقل له: ﴿ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ﴾(29).

فأجابه موسى عن هذا: ﴿ قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾(30)، أي الذي أرسلني يملك المشرق والمغرب وما بينهما، وهذا اللفظ يدل على الشروق والغروب كما يدل على مكانهما، وهذان الحدثان لا يستطيع فرعون ولا قومه من المتجبرين أن يدعي تصريفهما (إن كنتم تعقلون) أي أصحاب تدبر وتفكر، وفى هذا الحوار يتضح لنا عجز فرعون وضعفه، ومن ثم نرى فرعون يهيج على موسى ويثور، ويتوعده بالسجن وهذا شأن العاجز الذي يفقد عزمه وسيطرته على نفسه فيلتجئ إلى التهديد الغليظ الذي يعتمد عليه الطغاة عندما تخذلهم البراهين.

﴿قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ﴾(31). غير أن هذا التهديد لم يفقد موسى قوته ورباطة جأشه، وكيف وهو رسول الله، والله ناصره، وحينئذ لجأ موسى إلى إظهار المعجزات الحسية.

﴿قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ﴾(32)، أي حجة واضحة تدل على صدق دعواي بأنني مرسل من عند الله.

يقول ابن عاشور: "لما رأى موسى من مكابرة فرعون عن الاعتراف بدلالة النظر مالا مطمع معه إلى الاسترسال في الاستدلال؛ لأنه متعامٍ عن الحق عدل موسى إلى إظهار آية من خوارق العادة دلالة على صدقه، وعرض عليه ذلك قبل وقوعه ليسد عليه منافذ ادعاء عدم الرضى بها"(33).

فلما سمع فرعون كلام موسى: ﴿قَالَ فَأْتِ بِهِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾[34]. في دعوى الرسالة وأنك مرسل من عند الله، قال له ذلك ظنا منه أنه يقدر على معارضته، وفي هذه الآونة أمر الله موسى بأن يلقي عصاه ليظهر المعجزة ﴿فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاء لِلنَّاظِرِينَ﴾[35].

المعجزات التي أيد الله بها موسى عليه السلام:

في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَاسْأَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَونُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَى مَسْحُورًا قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنزَلَ هَؤُلاء إِلاَّ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَونُ مَثْبُورًا﴾[36].

وهذه الآيات التسع هي:

1- العصا: وهي المعجزة الأولى، قال تعالى: ﴿فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ﴾[37].

انقلبت العصا إلى ثعبان واضح بين يدي فرعون ففزع وخاف وتركت في نفسه آثارا حزينة وهو يراها تتلقف ما صنعته السحرة، فابتلعته وكأن شيئا لم يكن.

وضرب بها البحر، قال تعالى: ﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ﴾[38]. وضرب بها الحجر، فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا، قال تعالى: ﴿وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْناً﴾[39]. وهذه كلها معجزات أيد الله بها موسى بالعصا.

2- اليد: وهي المعجزة الثانية: التي أيد الله بها موسى، قال تعالى: ﴿وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاء مِنْ غَيْرِ سُوءٍ﴾[40]. وقال تعالى: ﴿اسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاء مِنْ غَيْرِ سُوءٍ﴾[41].

3- الطوفان: وهو ماء غزير نزل عليهم من السماء فأغرق بيوتهم، وأفسد مزارعهم.

4- الجراد: وقد أكل ثمارهم ومحاصيلهم ولم يترك لهم شيئا.

5-القمل: والقمل عند أهل اللغة ضرب من القردان، والمراد من القمل، قال أبو الحسن الأعرابي العدوي: القمل دواب صغار من جنس القردان إلا أنها أصغر منها واحدها قملة)[42].

6- الضفادع: جمع ضفدع، وهي المعروفة التي تنشأ في الماء، وتعيش في البر أيضا.

7- الدم: كثر فيهم الرعاف، وقيل: سال النيل عليهم دما، وكان الإسرائيلي يغترف منه الماء، والقبطي الدم، وكان الإسرائيلي يصب الماء في فم القبطي فيصير دما، والقبطي يصب الماء في فم الإسرائيلي فيصير ماء زلالا[43].

8- أخذهم بالسنين: أي بالجدب المستمر.

9- والنقص من الثمرات، قال تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُّفَصَّلاَتٍ فَاسْتَكْبَرُواْ وَكَانُواْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ﴾ (44).

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَونَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّن الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾(45).

هذه هي المعجزات التسع التي أيد الله بها رسوله موسى عليه السلام.

إهلاك فرعون

بعدما أوحى الله إلى موسى وأخيه هارون بأن يتخذا لهما ولقومهما بيوتا في مصر تكون مساكن وملاجئ يعتصمون بها، ويجعلونها في جهة واحدة متقابلة، وليقيموا الصلاة فيها متجهين إلى جهة واحدة؛ لأن الاتحاد في الاتجاه يساعد على اتحاد القلوب، قال تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُواْ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾(46).

أي وبشر المؤمنين بنجاتهم وحفظهم من فتنة فرعون وقومه الضالين المضلين، الذين يفسدون في الأرض ولا يصلحون.

قال تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالاً فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّواْ عَن سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلاَ يُؤْمِنُواْ حَتَّى يَرَوُاْ الْعَذَابَ الأَلِيمَ﴾(47).

وبعد أن أعد موسى –عليه السلام– بني إسرائيل للخروج من مصر إعدادا دينيا ودنيويا حسب استطاعته ومقدرته، وبعد غرس الإيمان في قلوبهم قال: ربنا إنك آتيت فرعون وملأه أي أعطيته وحاشيته زينة من الحليّ والحلل والآنية وأموالا كثيرة يتمتعون بها وينفقون منها في حياتهم في حظوظ الدنيا من العظمة والكبرياء، وفى الملذات والشهوات ولا شك أن المال الكثير يفسد صاحبه إذا كان على ضلال.

﴿ربنا ليضلوا عن سبيلك﴾ بسبب كثرة أموالهم وإنفاقها في غير طاعتك.

﴿ربنا اطمس على أموالهم﴾ أي ربنا أمحق أموالهم بالآفات التي تصيب زروعهم.

﴿وأشدد على قلوبهم﴾ أي اطبع على قلوبهم لأنهم لا يؤمنون حتى يعاينوا العذاب الأليم وقد أجاب الله دعوة موسى وأخاه هارون وقبِلها في قوله ﴿قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا وَلاَ تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ الَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ﴾(48). أي: فاستقيما على طريق الحق والدعوة إلى الله، وأمضيا لأمره وهو طريق الاستقامة.

﴿ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون﴾ أي ولا تسلكان طريق الباطل، (والذين لا يعلمون) سنتي في خلقي وإنجاز وعدي ولا يعرفون إن كانوا على هدى أو ضلال.

وقوله تعالى: ﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدْوًا حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنتُ أَنَّهُ لا إِلِـهَ إِلاَّ الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَاْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ آلآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ﴾(49).

هذا هو المشهد الأخير لنهاية هذه القصة، إذ أمر الله موسى –عليه السلام– ومن معه من المؤمنين بعبور البحر خوفا من فرعون وجنده، قال تعالى: ﴿وجاوزنا ببني إسرائيل﴾.

أي: برعايتنا وإرشادنا (فأتبعهم فرعون وجنوده بغيا وعدوا).

قال القرطبي: (وقال المفسرون: (بغيا) طلبا للاستعلاء بغير حق في القول، (وَعَدْوًا) في الفعل فهما نصب على المفعول له)(50).

﴿ حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ ﴾ أي أشرف على الغرق، (قال آمنت) أي صدقت أنه لا إله بحق إلاّ الرب الذي آمنت به بنو إسرائيل.

﴿ وَأَنَاْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ من الموحدين المستسلمين بالانقياد والطاعة.

﴿ آلآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ قيل له أتسلم الآن بعد أن يئست من الحياة وعاينت الموت وكنت قبل ذلك من المفسدين في الأرض بظلمك للعباد والعاصي لأمر الله والمستكبر عن آياته.

﴿ فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ﴾ .

قال الطبري: "يقول تعالى ذكره لفرعون فاليوم نجعلك على نجوة من الأرض ببدنك ينظر إليك هالكا من كذب بهلاكك لتكون لمن خلفك آية يقول لمن بعدك من الناس عبرة يعتبرون بك فينزجرون عن معصية الله والكفر به والسعي في أرضه بالفساد"(51).

﴿ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ﴾ .

قال القرطبي: "أي معرضون عن تأمل آياتنا والتفكر فيها، وقرئ (لمن خَلْفَكَ) –بفتح اللام– أي لمن بقي بعدك يخلفك في أرضك، وقرأ عليّ بن أبي طالب: (لمن خلقك) بالقاف أي تكون آية لخالقك"(52).

وقد أهلك الله فرعون في يوم عاشوراء، كما جاء في صحيح البخاري عن ابن عباس – رضي الله عنهما– قال: قدم النبي –صلى الله عليه وسلم– المدينة واليهود تصوم يوم عاشوراء فقالوا:

هذا اليوم ظهر فيه موسى على فرعون، قال النبي –صلى الله عليه وسلم– مخاطبا للصحابة: "أنتم أحق بموسى منهم فصوموا "[53].

الوثنية لم تفارق بني إسرائيل: وبعد أن كتب الله النجاة لموسى –عليه السلام– ومن معه من المؤمنين من الطاغية فرعون وجنوده، وتبين لبني إسرائيل أن فرعون قد هلك فعلا، فمضوا في طريقهم إلى سيناء مطمئنين وبينما كانوا يمشون في طريقهم إلى سيناء –بعد مجاوزتهم البحر– وجدوا قوما ملازمين لأصنام يعبدونها من دون الله، فطلبوا من موسى –عليه السلام– أن ينصب لهم صنما مثل أصنامهم يكون واسطة بينهم وبين الله كما يفعل هؤلاء القوم، فغضب موسى –عليه السلام– غضبا شديدا، ووصفهم بالجهل والحماقة والكفر بالنعم ومن أعظم هذه النعم نعمة النجاة من فرعون.

قال تعالى ﴿ وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَآئِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْاْ عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَّهُمْ قَالُواْ يَا مُوسَى اجْعَل لَّنَا إِلَـهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ إِنَّ هَؤُلاء مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَاطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ قَالَ أَغَيْرَ اللّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَـهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ وَإِذْ أَنجَيْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَونَ يَسُومُونَكُمْ سُوَءَ الْعَذَابِ يُقَتِّلُونَ أَبْنَاءكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءكُمْ وَفِي ذَلِكُم بَلاء مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾[54].

بعد أن عدد الله سبحانه وتعالى نعمه على بني إسرائيل بأن أهلك عدوهم وأورثهم أرضهم وديارهم، اتبع ذلك بالنعمة الكبرى وهي أنه جاوز بهم البحر آمنين، ثم ارتدوا وطلبوا من موسى أن يعمل لهم آلهة وأصناما، وفى هذا كله تسلية للنبي–صلى الله عليه وسلم– عما رآه من اليهود بالمدينة، فإنهم سلكوا مسلك أسلافهم مع أخيه موسى –صلى الله عليه وسلم–، وتنبيه للمؤمنين بأخذهم الحذر من اليهود وألا يغفلوا عن محاسبة أنفسهم ومراقبة نعم الله تعالى عليهم ، وقد رد موسى –عليه السلام– على قومه الذين طلبوا منه أن ينصب لهم أصناما ولم يرضوا نعمة ربهم ولم يشكروه على ذلك بقوله: ﴿قال إنكم قوم تجهلون﴾.

قال الزمخشري: "تعجب من قولهم على أثر ما رأوا من الآية العظمى والمعجزة الكبرى فوصفهم بالجهل المطلق وأكده، لأنه لا جهل أعظم مما رأى منهم ولا أشنع"[55].

ومعنى قوله:﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ مُتَبَّرٌ مَا هُمْ فِيهِ وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

أي: إن هؤلاء القوم الملازمين على عبادة الأصنام ما هم إلا مشركين وحياة تقوم على هذا الشرك وتتعدد فيها الأرباب يكون مصيرها التبار والهلاك والدمار.

﴿وباطل ما كانوا يعملون﴾ أي زائل وذاهب مضمحل، ثم يغضب موسى عليه السلام لربه لتعجبه من قومه الذين نسوا نعمة الله عليهم ورد عليهم:

﴿قال أغير الله أبغيكم إلها وهو فضلكم على العالمين﴾ أي قال لهم موسى كيف أطلب لكم إلها غير الله وهو الذي خلقكم وخلق السموات والأرض.

(وهو فضلكم على العالمين) أي على عالمي زمانكم، وقيل فضلهم بإهلاك عدوهم وبما خصهم به من الآيات)[56].

وقال الألوسي: "أي عالمي زمانكم أو جميع العالمين، وعليه يكون المراد تفضيلهم بتلك الآيات لا مطلقا حتى يلزم تفضيلهم على أمة محمد –صلى الله عليه وسلم– وأما الأنبياء والملائكة –عليهم السلام– فلا يدخلون في المفضل عليهم بوجه بل هم خارجون عن ذلك بقرينة عقلية، والجملة حالية مقررة لوجه الإنكار، أي والحال أنه تعالى خص التفضيل بكم فأعطاكم نعما لم يعطها غيركم ، وفيه تنبيه على ما صنعوا من سوء المعاملة والمقابلة حيث قابلوا التفضل بالتفضيل والاختصاص، بأن قصدوا أن يشركوا بالله أخس مخلوقاته، وهذا الاختصاص مأخوذ من معنى الكلام، وإلا فليس فيه ما يفيد ذلك، وتقديم الضمير على الخبر لا يفيده، وإن كان اختصاصا آخر على ما قيل، أي هو المخصوص بأنه فضلكم على من سواكم، وجوز أبو البقاء كون الجملة مستأنفة"[57].

قوله تعالى ﴿وَإِذْ أَنجَيْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَونَ يَسُومُونَكُمْ سُوَءَ الْعَذَابِ يُقَتِّلُونَ أَبْنَاءكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءكُمْ وَفِي ذَلِكُم بَلاء مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾[58].

وفى سورة البقرة ﴿ وَإِذْ نَجَّيْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوَءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءكُمْ وَفِي ذَلِكُم بَلاء مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾[59].

ومن نعم الله على بني إسرائيل أنه نجاهم من آل فرعون الذين كانوا يسومونهم سوء العذاب يجعلونهم عبيدا مسخرين لخدمتهم، ويقتلون ما يولد لهم من ذكور ويستبقون نساءهم ليزدادوا ضعفا بكثرتهن.

(وفى ذلكم)العذاب والإنجاء، (بلاء) نعمة أو محنة، وقيل: المراد به ما يشملها (من ربكم) أي مالك أموركم، (عظيم) لا يقادر قدره)[60].

الخاتمة

وصلت بوريقات بحثي هذا إلى خاتمته والتي سأحاول أن أجمل فيها بعض ما توصلت إليه من نتائج فأقول:

– أن التفسير الموضوعي: هو المنهج الذي يجمع فيه المُفسّر الآيات القرآنية التي تتعلق بموضوع واحد، يبيّن معناها ويربط بينها، ويكشف غرضها الذي تهدف إليه.

- أن نسب سيدنا موسى –عليه السلام– يرجع إلى أبينا إبراهيم الخليل –عليه السلام–، وقد ورد اسمه بلفظه في مواضع كثيرة في القرآن الكريم مقرونًا بقصته منذ ولادته، وما حدث فيها إلى مرحلة شبابه، ثم إلى مرحلة التكليف بالرسالة.
- أن بداية إرهاصات البعثة لسيدنا موسى تجلّت في رؤيته للنار التي كانت بالواد المقدس، وما ترتب على هذه الرؤية البصرية، وما تبعها من مناجاة لله، وأسئلة وطلبات التي اختتمت ببلوغ الغاية، وهي: ﴿قال قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى﴾.
- أن التحاور هو السبيل الأمثل للوصول إلى الهدف المنشود، وهو ما قام به سيدنا موسى مع فرعون، وذلك امتثالًا لأوامر الله –عزّ وجل–، وإن كانت سمة التردد ظاهرة في بداية الأمر متعللًا بعلل حسية ومعنوية، ومع ذلك استجاب للأمر وباشره بكل شجاعة، وبدأت المحاورة بينهما، كما سردها القرآن الكريم في عدّة مواضع، حتى يعيش القارئ والسامع الأحداث حدثًا حدثًا وكأنه معهم وبينهم.
- أن للتحاور أدلة يطرحها المحاور ليساند ما يريد عرضه إقناعًا لغيره، وإظهارًا لتمسكه بما يسعى إليه، فبدأ سيدنا موسى بعرض أدلته، وهي المعجزات أو الآيات التسع التي جاء بها مدللًا على صدق رسالته وكونها رسالة إلهية من الله –عز وجل– مع أخذ مجال أوسع في هذا العرض، فمنها ما عرض في أثناء التحاور، ومنها ما عرض على مرّ الأيام لتأكيد السابق.
- أن عدم اقتناع الخصم بهذه الأدلة جعله يسعى لإبطالها بكل ما أوتي من سلطة، فقام بتحشيد السحرة، وحثهم على مقارعته والوعد لهم بالمكانة المرموقة، إلا أن الخسارة كانت حليفهم، وإيمانهم السريع أثر سلبًا في فرعون وزبانيته.
- أن عدم التسليم للخسارة قد يؤدي بالخصم إلى الهلاك، وهو ما حدث لفرعون وأتباعه الذين كان مصيرهم الغرق.
- أن اليهود قوم ليسوا مأموني الجانب، فهم متغيرون وجاحدون بالنعم التي أغدقها الله تعالى عليهم، والتي عرضها سيدنا موسى، بل طلبوا منه أشنع من ذلك بأن يجعل لهم إلهًا يعبدونه من دون الله فردّ عليهم بقوله: (إنكم قومٌ تجهلون).

المراجع

(1) سورة الأعراف، الآية (144).

(2) سورة الزخرف، الآية (45).

(3) البداية والنهاية لابن كثير، مكتبة المعارف بيروت، ج 1، ص (237).

(4) تفسير الطبري، الطبعة الثالثة، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت- لبنان، ج 1، ص (231).

(5) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، دار المعرفة – بيروت، ج 3، ص (380).

(6) سورة القصص، الآية (7).

(7) سورة القصص، الآيتان (8-9).

(8) سورة القصص، الآيتان (10-11).

(9) سورة القصص، الآيتان (12-13).

(10) سورة القصص، الآية (14).

(11) جامع البيان في تفسير القرآن، للطبري، المجلد العاشر، ج 20، ص (28).

(12) سورة طه، الآيات (9-47).

(13) سورة النمل، الآية (7).

(14) سورة القصص، الآية (29).

(15) سورة النمل، الآية (8).

(16) سورة القصص، الآية (30).

(17) سورة الفرقان، الآيتان (35-36).

(18) روح المعاني، للألوسي، إدارة الطباعة المنيرية، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، ج 19، ص (18).

(19) سورة الشعراء، الآيات (10-17).

(20) سورة الشعراء، الآيتان (18-19).

(21) سورة الشعراء، الآية (20).

(22) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، الطبعة الثالثة دار الكاتب العربي للطباعة، ج 13، ص (95).

(23) سورة الشعراء، الآيتان (21-22).

(24) قصص الأنبياء، عبد الوهاب النجار، الطبعة الثالثة، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، ص (180-181).

(25) سورة الشعراء، الآية (23).
(26) سورة الشعراء، الآية(24).
(27) سورة الشعراء، الآية (25).
(28) سورة الشعراء، الآية (26).
(29) سورة الشعراء، الآية (27).
(30) سورة الشعراء، الآية (28).
(31) سورة الشعراء، الآية (29).
(32) سورة الشعراء، الآية (30).
(33) تفسير التحرير والتنوير للشيخ محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر، ج 19، ص (122).
(34) سورة الشعراء، الآية (31).
(35) سورة الشعراء، الآيتان(32-33).
(36) سورة الإسراء، الآيتان (101-102).
(37) سورة الشعراء، الآية (32).
(38) سورة الشعراء، الآية (73).
(39) سورة البقرة، الآية (60).
(40) سورة النمل، الآية (12).
(41) سورة القصص، الآية (32).
(42) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج 7، ص (270).
(43) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج 7، ص (271).
(44) سورة الأعراف، الآية (133).
(45) سورة الأعراف، الآية (130).
(46) سورة يونس، الآية (87).
(47) سورة يونس، الآية (88).
(48) سورة يونس، الآية (89).
(49) سورة يونس، الآيات (90-92).
(50) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج 8، ص (377).
(51) الجامع البيان في تفسير القرآن، الطبري، المجلد السابع، ج11، ص (113).
(52) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج 8، ص (381).

(53) صحيح البخاري، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، جـ 6، ص (91).

(54) سورة الأعراف، الآيات (138-141).

(55) الكشاف، للزمخشري، الناشر دار المصحف شركة مكتبة ومطبعة عبد الرحمن محمد، جـ 2، ص (131).

(56) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، جـ 7، ص (274).

(57) روح المعاني، الألوسي، جـ 9، ص (41-42).

(58) سورة الأعراف، الآية (141).

(59) سورة البقرة، الآية (50).

(60) روح المعاني، للألوسي، جـ 9، ص (42).